مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
Bani Waleed University Journal of Humanities and Applied Sciences
تصدر عن– جامعة بني وليد – ليبيا
Website:https://jhas-bwu.com/index.php/bwjhas/index
ISSN 3005-3900 الصفحات (103 -116) المجلد الحادي عشر – العدد الخامس – 2026

Applied Rhetoric in the Commentaries on AI-mutanabbi's Diwan : Con Cept Foundation and problems of Balancing between the Andalusia and the East

Rafa Mohammed Bait Elmal[1]*, Salma Mustafa Shmaila[2]
[1] Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Misrata University, Misrata, Libya.
[2] Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Sirte, Sirte, Libya.
r.baitalmal@art.misuratau.edu.ly

البلاغةُ التّطبيقيّة في شُروح ديوان المتنبّي
تأصيل المفهوم وإشكاليّات الموازنة بين الأندلس والمشرق

رافع محمّد بيت المال[1]*، سالمة مصطفى اشميلة [2]
[1] قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة الآداب ، جامعة مصراتة ، مصراتة ، ليبيا.
[2] قسم اللّغة العربيّة، كلّيّة التربية ، جامعة سرت ، سرت ، ليبيا

Received: 17-05-2026	Accepted: 25-06-2026	Published: 08-07-2026
Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص:
البحث يعرض محاولة لتأصيل وتتبع النّشأة التّاريخيّة للبلاغة التّطبيقيّة من خلال شروح ديوان المتنبّي .
حيث إنّه يقف عند الخصائص البلاغيّة والأسلوبيّة الّتي جعلت من شعر المتنبّي ميدانًا خصبًا للتّطبيق البلاغيّ ومجالاً للتّنافس بين النّحويّين واللّغويّين والفلاسفة ، كما يطرحُ إشكاليّات الموازنة المنهجيّة بين أهم الشّروحات الأندلسيّة : (كابن الإفليليّ وابن سيده وأبو علي الحسين الصقلّي المغربيّ) ، وأهم الشّروحات المشرقيّة : (كالتّبريزيّ والعكبريّ ومعجز أحمد والواحديّ وابن فورّجة وابن جنّيّ) .
ولعل أبرز هذه الإشكالات : تفاوت أحجام الشّروح ، عدم توفّر بعض الشّروح الأندلسيّة بسبب فقدانها أو عدم تحقيقها ، ووجود بعض التّعليقات الأندلسيّة مبثوثةً في ثنايا الكتب النّقديّة ممّا يجعل إمكانيّة الوصول إلى مضامينها أمرًا صعبًا ، وقدِ اعتمد البحث منهجًا مُوازنًا تحليليًّا يقوم على إنتقاء واِستخلاص نماذجَ بلاغيّة تختصّ بعلم المعاني كقضيّة النّظم أو التّقديم والتّأخير والحذف والذّكر ، وقضايا تخصّ علم البيان كالاستعارة والمجاز والتّشبيه ، وقضايا تختصّ بعلم البديع وتُعنى بالمحسّنات اللّفظيّة والمعنويّة ، ومقارنة تطبيقاتها في الشروح المختلفة .
وقد خَلُص البحث إلى أنّ " البلاغة التّطبيقيّة " مفهوم أصيل في التّراث العربيّ بدأ في تشكّله مع عبدالله بن المعتزّ (ت 296 ه) ونضج مع عبدالقاهر الجرجانيّ (ت 471 ه) ، غير أنّ تجلّياته التّطبيقيّة التّامّة تحقّقت في شروح الدّواوين وخاصّة شروح ديوان المتنبّي .
كما خَلُصَ إلى أنّ الموازنة بين الأندلسيين والمشارقة موضوع جدير بالدّراسة والاهتمام ، شريطة أن يعتمد على منهج يُركّز على النّماذج التّحليليّة المُحدّدة لا على المقارنات العامّة والعشوائيّات .

وكشف البحث عن تراث مخطوط لم ير النور فأوصينا بتحقيقه (كشرح أبي الحسن فضل بن فضيلة الأوريوليّ) من تراث المغاربة ، وتحقيق المخطوطات المشرقيّة كمخطوطة المآخذ على أبي العلاء المعريّ ، وتوسيع دائرة الدّراسات الموازنة ودراسة البلاغة التّطبيقيّة لتشمل شروح دواوينَ أخرى (كديوان أبي تمّام وديوان البُحتريّ) ، وخاصة ديوان أبي تمّام فقد توصّلنا إلى كثير من الشّراح الّذين شرحوا ديوانه بكيفيّة تُشبه شُرّاح ديوان المتنبّي ، كما يُوصي البحث أيضًا بتوظيف النّظريّات الحديثة في تحليل الخطاب البلاغيّ وتوظيف النّقد الثّقافيّ لفهم الفروق بين التّقليديّين والحداثيّين .

الكلمات الدالة: البلاغة التّطبيقيّة ، شروح ديوان المتنبّي ، الأندلس والمشرق ، الموازنة ، التّحليل النّوعيّ والكمّيّ.

Abstract

This research examines the concept of "Applied Rhetoric" as manifested in the commentaries on Al-Mutanabbi's Diwan, tracing its theoretical foundations and historical evolution from theoretical treatises to extended applications in poetic commentaries. It explores the stylistic, structural, and figurative features that made Al-Mutanabbi's Diwan a fertile field for rhetorical experimentation and a arena for competition among grammatical, rhetorical, and philosophical schools. The research also addresses the methodological problems of balancing Eastern commentaries (e.g., Al-Tibrizi, Al-Wahidi, Al-Ukbari) and Andalusian commentaries (e.g., Ibn Sidah, Ibn Jabir Al-Wadi Ashi, Ibn Hisham Al-Lakhmi), the most prominent of which are: temporal asynchrony, disparities in commentary sizes and preservation, source overlap and mutual dependence (commentarial intertextuality), and the loss or insufficient scholarly editing of some Andalusian commentaries. The research adopts a qualitative analytical balancing approach based on selecting specific rhetorical issues (Theory of Composition, Metaphor, Trope, Badī') and comparing their applications across different commentaries, rather than quantitative overall comparison. The research concludes that "Applied Rhetoric" is an authentic concept in Arab heritage that began with Ibn Al-Mu'tazz and matured with Abd Al-Qahir Al-Jurjani, but its complete manifestations were achieved in poetic commentaries, especially on Al-Mutanabbi. It also concludes that balancing Eastern and Andalusian traditions is academically legitimate, provided attention is paid to four major problems and the adoption of an approach focused on specific analytical models rather than general comparisons. The research recommends editing unpublished Andalusian manuscripts (e.g., Ibn Jabir Al-Wadi Ashi's commentary), expanding comparative studies to include commentaries on other poetic collections (e.g., Abu Tammam and Al-Buhturi), and employing modern theories of rhetorical discourse analysis and cultural criticism to understand the differences between the two traditions .

Keywords: Applied Rhetoric – Commentaries on Al-Mutanabbi – Balancing – East and Andalusia – Qualitative Analysis.

المقدمة:

تُعدُّ البلاغةُ التّطبيقيّةُ من أكثر حقول الدّرس البلاغيّ أهمّيّةً ؛ فدراسة البلاغة بشكل تطبيقيّ وتحليليّ يكشف مغاليق ما تعسّر فهمه من مفاهيم نظريّة ، خاصّة في العصر الحديث ، بعد التّحوّلات والتّطوّرات المنهجيّة الّتي شهدتها الدّراسات النّقديّة ، فالتّركيز أصبح منصَبًّا على تحليل النّصوص والخطابات بوصفها نظامًا وأوعيةً وممارساتٍ حيّةٍ ؛ لا مجرّدَ أوعية لقواعدَ نظريّة وتعريفات جاهزة .

ففي الدّراسات الغربيّة المعاصرة على يد (I.A.Richards) ريتشاردز و (Jansen) جانسن و (jounkohn) جوهن كوهن و (Wayne c.Booth) ووين بوت ، قد بدأ الالتفات والحديث في هذا الحقل البلاغيّ متأخّرٌ نسبيًّا (**Jansen, ؛112-Booth, 1961, pp. 89 ؛18-Richards, 1929, pp. 3**

2012، 45 .pp-67) ؛ فالتّراث النّقديّ البلاغيّ العربيّ طبّق البلاغة في كتبه تطبيقًا مباشرًا دون الإشارة إلى أيّ تعاريف أو مفاهيم مصطلحيّة ، إلى أن ضبطت ووضعت في تعاريف ومصطلحات مفاهيميّة على يد السّكاكيّ ؛ لأنّه كان قد تأثّر بالمناطقة والفلاسفة فيما يُعرَف بالمُعرّفات والأقوال الشّارحة .
وقد تمثّل التّطبيق البلاغيّ بـ (كتاب البديع) لابن المعتزّ (ت 296 ه) ، ثمّ واصلتِ البلاغة نضجها على يد عبدالقاهر الجرجانيّ (ت 471 ه) في كتابيه : (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ، وبلغت ذروتها وجمالها التّطبيقيّ في شروح الدّواوين وعلى رأس هذه الدّواوين ديوان المتنبّي الّتي تجاوزت عدد شروحاته الأربعين شرحًا (**ضيف ، n.d ، ص 152- 175 ؛ مطلوب، 2006، ص 89 - 92**) ، وشروح ديوان أبي تمام الّتي تجاوزت العشرين شرحًا وشروح ديوان البُحتري الّتي تجاوزتِ العشرة شروح ، هذا عدا الحواشي الّتي وُضعت على تلك الدّواوين .
غير أنّ ما يُميّز شروح ديوان المتنبّي ليس كثرتها وإنما ما أودع فيها من مادّة خصبة لدراسة معايير البلاغة التّطبيقيّة فقد تنوّعت الاتّجاهات الفكريّة في الشروح ، بين شروحات نحويّة لغويّة كشرح : (ابن جنّي وابن سيده) وشروحات بلاغيّة نقديّة كشرح : (التّبريزيّ وابن الإفليليّ والواحديّ ومعجز أحمد) ، وشروحات تمزج بين الشّرح والتّوضيح اللّغويّ والنّحويّ والبلاغيّ كشرح : (العكبري وابن سيده) .
هذا التنوّع اللّغويّ النّحويّ البلاغيّ يُتيح للباحثين فرصة لتتبّع تطوّر ونضج الفكر البلاغيّ عبر القرون ورصد كيفيّة تأثير البيئات الثّقافيّة في كلّ قرن من خلال آليّة تطبيق البلاغة على النّصوص الشّعريّة (**سزكين ، 1991 ، مج 2 ، ج 3 ، ص 115- 122**) .
تبرزُ أهمّيّةُ هذا البحث في كونه يهدف إلى تأصيل مفهوم " البلاغة التّطبيقيّة " كما وردت في التّراث العربيّ ، وتتبّع نشأته وتطوّره عبر القرون من خلال شروح المتنبّي موضوع الدّراسة ونموذج الدّرس في هذا البحث
ويطرح البحث إشكاليّةً أخرى لم تحظَ – فيما علمنا – بالدّراسة الكافية ، وهي : كيف يُمكننا الموازنة منهجيًّا بين الشّروحات الأندلسيّة والشّروحات المشرقيّة ، في ضوء ما يتخالف بينها من أمور تتعلق بعدم التّوافق الزّمنيّ والاختلاف الكبير في حجم الشّروح وفقدان بعضها ، وعدم تحقيق ونشر بعضها الآخر ؟
وللإجابة على هذا السّؤال ، كان البحث في ثلاثة مباحث رئيسيّة ؛ المبحث الأوّل يُعنَى بتحديد مفهوم " البلاغة التّطبيقيّة " ونشأتها ، بتتبّع التّحوّلَ من الشّاهد المجرّد إلى النّصّ التّطبيقيّ المُوسّع ، ومُحاولةً مناقشة إشكاليّة العلاقة بين النّظريّة والتّطبيق .
أما المبحث الثّاني فكان لبيان اختيار " ديوان المتنبّي " محورًا للدّراسة من خلال استعراض خصائص شعره الأسلوبيّة المُحفّزة بالشّرح والتّحليل والأثر الّذي تُحدثه هذه الخصائص في توليد تيّارات متكاملة في الشّروح .
في حين جاء المبحث الثّالث ليتناول قضيّة الموازنة بين الأندلس والمشرق موضّحًا خصوصيّة وطبيعة الدّرس الأندلسيّ والإشكاليّات المنهجيّة الّتي تحكم هذه الموازنة مقترحًا منهجًا تحليليًّا لها .
اِعتمد البحثُ على مصادر تراثيّة ودراسات حديثة عربيّة وأجنبيّة بُغية الإسهام في فتح آفاق جديدة للدّراسات الموازِنة في مجال البلاغة العربيّة ، وأن يُحَفّز على تحقيق المخطوطات الأندلسيّة وبعض المخطوطات المشرقيّة الّتي لا تزال حبيسةَ الخزائن .

المبحثُ الأوّلُ : مفهومُ البلاغة التّطبيقيّة ونشأتُها (من النّظريّة إلى التّطبيق في النّقد العربيّ) :

أ- تحديد ماهية المصطلح في ضوء التّمييز بين المستويات البلاغيّة الثّلاثة :

إذا كان مصطلح " البلاغة التطبيقيّة " قد حظِيَ باهتمام متأخّر في الدّراسات الغربيّة المعاصرة ، الّذي تَمثّل في " الأسلوبيّة " تحديدًا ، فإنّ جذوره الفعليّة تمتدّ في التّراث النّقديّ والبلاغيّ العربيّ إلى أعمقَ من ذلك بكثير (**سزكين ، 1991 ، مج 2 ، ج 3 ، ص 117**) ؛ فقد عرف العرب منذ وقت مبكّر ما يُمكن تسميته بـ " الموازنة " وهي الموازنة التّطبيقيّة بين النّظريّة والنّظم ، وإن لم يستخدموا المصطلح بعينه كعادتهم مع تقسيمات البلاغة جميعها ، فهي تعني – كما يظهر – ذلك الدّرس البلاغيّ الّذي يخرج بالقاعدة من حيّزها المجرّد إلى حقل النّصّ المُحلَّل ،مُختبرًا مدى انطباقها أو خروجها عليه (**فضل ، 1990 ، ص 210 – 225**)
وهنا ينبغي علينا أن نُمَيّز بين ثلاثة مفاهيم متقاربة المعنى ؛ لأنّ الخلط بينها يؤدي إلى سوء فهم طبيعة " البلاغة التّطبيقيّة " .

أوّلًا : البلاغة النّظريّة :
هي البلاغة الّتي تُقدّم القواعد الكلّيّة والمبادئ العامة وأقسام الكلام من غير أن تتعرّض لتطبيقها على النصوص ، نجدها في مقدّمات كتب المعاني والبيان عند السّكّاكيّ (ت 626 ه) في كتابه " مفتاح العلوم " وعند القزوينيّ (ت 739 ه) في كتابيه " التّلخيص والإيضاح " (**القزويني ، تحقيق خفاجي ، 1949 ، ج 1 ، ص 5 – 11**) .
فهذه نظريّة في الكيفيّة الّتي ينبغي أن يُنتج بها الكلام البليغ ؛ فهي تُمثّل مستوى ما وراء البلاغة على حدّ تعبير النّاقد محمد بن عاشور عند دراسته لمشروع النّاقد حازم القرطاجنيّ .
ثانيًا : البلاغة التّعليميّة :
هي الوسط بين النّظرية والتّطبيق ، والّتي تُعنى بتعليم القواعد وإيراد شواهدَ قصيرة عليها للتّعليم والتّدريب ، حيث يغلب عليها الطّابع المدرسيّ .
كتب " الإيضاح " للقزوينيّ تُمثّل هذا المستوى ؛ وكذلك مختصرات كتب المتأخّرين الّتي تُدرّس في المدارس ككتاب " البلاغة الواضحة " لــ عليّ الجارم وأحمد أمين (**القزويني ، ج 1 ، ص 12- 15**) .
وطبيعة هذه البلاغة أنّها تقتطع الشّاهد البلاغيّ من سياقه الأصليّ ، وتكتفي بالإشارة إلى وجه البلاغة فيه إشارة سريعة غير مُطوّلة .
ثالثًا : البلاغة التّطبيقيّة :
هي الّتي تُرَكّز على نصّ مُطوّل (كسورة قرآنيّة كاملة ، أو ديوان شاعر) ثُمّ تشرحه شرحًا بلاغيًّا تحليليًّا ، لاتكتفي فيه بتفسير الغريب ؛ بل تكشف عن آليّات الإقناع والتّصوير المخالفة وتتبّع العلاقات التّركيبيّة والدّلاليّة داخل النّصّ وتُقارن بين أجزائه (**مطلوب ، 1964 ، ج 1 ، ص 198**) ، وهذا هو موضوع هذا البحث .
ويتّصل بهذا المفهوم أيضًا ما يسمّى في النّقد الغربيّ بــ " النّقد العمليّ " الّذي أسّسه ريتشاردز في كامبردج ؛ وجعله اختبارًا لقدرة الطّالب على تفسير الشّعر دون معرفة بقائله أو حتّى سياقه ، غير أنّ الفارق الجوهريّ هو أنّ البلاغة التّطبيقيّة العربيّة لا تنفصل عن النّظريّة ؛ بل تنطلق منها وتُنقّحها بالعودة إلى النّصّ ؛ في علاقة جدليّة لا تُتيح لأحدهما السّيادة المُطلقة على الأخرى (**العمري ، 1998 ، ص 89 – 95**) .
ب- النّشأة التّاريخيّة للبلاغة التّطبيقيّة من ابن المعتزّ إلى عبدالقاهر الجرجانيّ :
يُمكننا استنباط وملاحظة البدايات الأولى للبلاغة التّطبيقيّة على يد ابن المعتزّ (ت 296 ه) في كتابه : (كتاب البديع) ، فقد أُلّف هذا الكتاب للرد على شعراء العصر العباسي (المحدثين) الذين ادّعوا ابتكار هذه الفنون ؛ ليثبت أن العرب قديمًا في الجاهلية والإسلام قد سبقوهم في استخدامها ، بدليل أن أول مبحث من أركان البديع التي تحدث عنها كان (الاستعارة) ، والاستعارة ليست من مباحث البديع المعهودة عند المتأخرين ، وكذلك حديثه في المباحث الإضافية من التعريض والكناية وحسن التشبيه .
يقول ابن المعتز في مقدّمة كتابه فيما معناه بأنّه رأى كثيرًا من النّاس ممّن يُنكرُ البديع ويرون أنّه ليس من القرآن في شيء ؛ فأحبّ أن يضع كتابًا يَذكُر فيه أوجه البديع عن طريق تمثيله بشيء من كلام الله تعالى وكلام العرب (**ابن المعتز ، تحقيق كراتشكوفسكي ، 1935م ، ص 1- 2**) .
غير أنّ هذا التّطبيق ظلّ محدودًا من حيث العُمق فهو عبارة عن تصنيف شواهدَ معيّنة تحت عناوين بلاغيّة منه إلى تحليل عميق ، فابن المعتزّ يكتفي بالإشارة إلى وجود المُحسّن في الشّاهد دون أن يُحلّل ويُبيّن كيف يعمل هذا المحسّن .
يُمكننا اعتبار " كتاب البديع " عند ابن المعتز مرحلة تمهيديّة ولم يصل إلى مرحلة النّضج .
النّقلة النّوعيّة الحقيقيّة كانت على يد عبدالقاهر الجرجانيّ (ت 471 ه) في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ففي هذين الكتابين لم يَعدِ التّطبيق مجرّد إيراد شاهد نظريّ بجانب قاعدة ؛ بل تحوّل إلى تحليل مُعمّق للنّصوص وتتبّع لحركة المعنى داخل التّراكيب المختلفة ، وقد جعل عبدالقاهر فصولاً طويلة لتحليل آيات قرآنية وأبيات شعريّة متفرّقة جامعًا بين التّحليل النّحويّ والبلاغيّ والنّقديّ في وقت واحد (**الجرجاني ، تحقيق شاكر ، 2000 ، ص 45 – 50 ؛ و أسرار البلاغة ، ص 30- 35**) .

ويكفي أن ننظر إلى تحليله الشّهير لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ **من الآية (28) من سورة النازعات** ، حيث يُناقش مسألة (الاختصاص) و (الإسناد) في هذه الآية مُتجاوزًا حدود التّفسير اللّغويّ السّطحيّ الّذي يكتفي بشرح المفردات لغويًّا ؛ حيث يُبيّن كيف أنّ تقديم لفظة (نفسك) على لفظة (مع الّذين) تُحقّق توكيدًا خاصًا ولماذا أُختير حرف الجرّ (مع) بدلًا من حرف الجرّ (في) أو (إلى) ؛ حيث إنّ حرف الجرّ (مع) يخلق فضاءً دِلاليًّا من المصاحبة والمواساة ، لا مجرّدَ المكانيّة الظّرفيّة الجامدة (**الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 250 – 260**) .

هذا المستوى من التّحليل لم يكن معهودًا قبل عبدالقاهر الجرجانيّ في كتب البلاغة النّظريّة .

بيد أنّ عبدالقاهر ظلّ يعتمد على الآيات والأبيات المتفرّقة ولم يُكرّس كتابًا لشرح ديوان أيّ شاعر ؛ ما عدا الكتاب الّذي حُقق مُؤخّرًا والّذي تمّ التّشكيك في نسبة إسناده للجرجانيّ ؛ لكنّه ظلّ في دائرة (التّطبيق والتّحليل الكلّيّ للشّواهد) ؛ فالفجوة الّتي تركها كانت كبيرة وجاءت شروح الدّواوين – وعلى رأسها شروح ديوان المتنبّي أندلسيّة كانت أم مشرقيّة – لتسُدّها بالكامل .

ج- شروح الدّواوين : ميلاد البلاغة التّطبيقيّة بصفتها فرعًا مَنهجيًّا مُستقلًّا :

في شروح الدّواوين وبالأخصّ شروح ديوان المتنبّي تتحوّل البلاغة إلى آلة توضيحيّة تفسيريّة تُلازم القارئ في كلّ خُطوة ومع كلّ كلمة دون تسمية للمصطلح البلاغيّ أحيانا ، ويُجيب عن أسئلة يُمكن أن تخطر في ذهن القارئ ، فيقول قدّم هذا اللّفظ وأخّر ذاك ، أو عدل عن الظّاهر إلى المجاز ، أو يُوضّح تفاعل صورة بلاغيّة مع سياق تاريخيّ للقصيدة (**الأيوبي ، 1999 ، ص 15- 22**) .

وهذا النّمط التّأليفيّ الجديد المُوازي لنمط عبدالقاهر الجرجانيّ يُمكن اعتباره ميلادًا آخرَ للبلاغة التّطبيقيّة بشكل مُكثّف وبصفتها فرعًا مَنهجيًا مُستقلًّا لا مجرّد تطبيق عابر ؛ فالشّارح كأنّه باحث يُحلّل كلّ لبنات النّصّ المُعقّد ؛ وأحيانًا أخرى يَعقد موازنات ومقارنات بين أساليبِ المتنبّي وأساليبِ غيره من الشّعراء ؛ وأحيانًا يُوازن بين تفسيرات مختلفة لبيت واحد ؛ وأحيانًا أُخرى يُقرّر أنّ بعضًا من الأبيات ليس فيه من البلاغة ما يُتكلّف له التّأويل (وهذا موقف يعترف به العكبريّ صراحةً) (**العكبري ، تحقيق الميمني ، 1946م ، ج 1 ، ص 89**) .

ويُجمِع الباحثون المعاصرون – كشوقي ضيف وأحمد مطلوب ومحمد العمري – على أنّ شروح المتنبّي تحديدًا مَثّلتْ نموذجًا فريدًا ، لا لكثرتها ؛ بل لتنوّع الآراء والتّحليل فيما بين ما هو لغويّ ونحويّ وبين ما هو بلاغيّ نقديّ) ، ممّا يُتيح للباحث تكوين رؤية مكتملة لتطوّر البلاغة التّطبيقيّة عبر القرون (**ضيف ، ص 168- 170 ؛ مطلوب ، ص 75- 80 ؛ العمري ، ص 250- 260**) .

فشرح ابن الإفليليّ (ت 441 ه) يُمثّل استنباطًا مُباشرًا للبلاغة دون ذكر مصطلحات بلاغيّة غالبًا ؛ أمّا غيره من الشروح الأندلسيّة (كابن سيده) مثلًا فإنّه يميل إلى التّوضيح اللّغويّ وتوسيع بعض المباحث البديعيّة ، كما يلاحظ أنّ الحديث عن أغلب مذاهب البديع يتجلّى في شرح الإفليليّ أيضًا ؛ فالشّروحات الأندلسيّة تميل إلى توسيع المباحث البديعيّة وتكثير الشّواهد من شعر الأندلسيّين أنفسهم إلى جانب المتنبّي .

أمّا الشّروحات المشرقيّة كشرح التبّريزيّ (ت 502 ه) مثلًا فإنّه يُمثّل الإطناب البلاغيّ ، فنادرًا ما يمرّ ببيت دون أن يتعرّض لبيان أوجه البلاغة فيه مع مقارنة أبيات المتنبّي مع أبيات غيره من الشّعراء ، وشرح العُكبريّ (ت 616 ه) يمزج بين البلاغة والنّحو واللّغة وأحيانًا يُعرب الكلمات إعرابًا دقيقًا ثمّ يُبيّن أثر هذا الإعراب في الدّلالة البلاغيّة ، أمّا شرح الواحديّ (ت 468 ه) فيُمثّل الإيجاز المُعبّر ، حيث إنّه لا يُطيل كثيرًا وخاصّة في التّفريعات ، لكنّ إشارته إلى وجه بلاغيّ واحد قد تُغني عن صفحات (**الواحدي ، ص 85 – 120**) .

د- إشكاليّة العلاقة بين مُجرّد النّظريّة وتطبيقها : هل يخضع النّصّ للنّظريّة الأساسيّة ؟ أم النّظريّة هي من تخضع للنّصّ ؟

هل يظلُّ شارح الدّيوان أسيرًا للنّظريّة البلاغيّة الّتي تلقّاها عن الكتب التّراثيّة الكبرى (كدلائل الإعجاز ومفتاح العلوم) فيُحاول تطويع شعر المتنبّي لها ولو اضطر ذلك إلى تأويلات مختلفة ؛ أم أنّ نصّ المتنبّي يمتلك من المزايا الّتي تتجلّى فيها البلاغة التّطبيقيّة في أكمل صورها .

واقع الحال أنّ الشروح – حسب فهْمنا – قدّمتْ نماذج من الحالتين ، ففي شرح التّبريزيّ لمحتُ أحيانًا إصرارًا على إيجاد علاقة تشبيه أو استعارة في بيت قد تكون الصّورة فيه عاديّة مباشرة خالية من المجاز ، انقيادًا لمقولة " المتنبّي شاعر الصّورة " بل إنّ التبريزي قد يتكلّف تأويلًا بعيدًا لتبرير بلاغة بيت ضعيف بدافع دفاعيّ عن المتنبّي (**التبريزي ، تحقيق عثمان ، 2000 ، ج 2 ، ص 45 -47**) .
بينما نجد عند العُكبريّ موقفًا أكثر مرونة وموضوعيّة ، إذْ يعترف صراحة بأنّ بعض أبيات المتنبّي ليس فيها من البلاغة ما يُتكلّف له التّأويل ؛ مُكتفيًا بالشّرح اللّغويّ دون اِفتعال بلاغة غير موجودة .
وهذا موقف نادرٌ في شروح المتنبّي حيث الغالب هو الدّفاع والتّبرير (**العكبري ، ج 1 ، ص 92**) .
وهذه الإشكاليّة – الجدل بين النّظريّة والتّطبيق – ستعود بقوّة عند المقارنة الواضحة بين الشّروح الأندلسيّة والمشرقيّة .
وسنُلاحظ أنّ بعض الشروح الأندلسيّة كانت أكثر تحرّرًا من سلطة النّظريّة المشرقيّة في بعض شروحات المشرق وأكثرَ استعدادًا للاعتراف بالاختلاف والتّعدّد في التّطبيق .

المبحث الثّاني : ديوان المتنبّي محورًا للدّرس البلاغيّ (خصائص شعره وأثره في الشّروح) :

أ- المتنبّي في تاريخ البلاغة العربيّة :

لمحة إحصائيّة نقديّة :

إذا كان هناك شاعر واحد حضر في كتب البلاغة العربيّة والنّقد والتّفاسير القرآنيّة أكثر من أيّ شاعر آخر ، فهو بلا شكّ أبو الطّيّب أحمد بن الحسين الكنديّ المتنبّي (ت 354 ه) ، ففي كتاب " دلائل الإعجاز " وحده يستشهد عبدالقاهر الجرجانيّ بشعر المتنبّي في أكثر من خمسة وثمانين موضعًا مُتفوّقًا على أبي تمّام والبحتريّ ، وفي كتاب " أسرار البلاغة " لا يقلّ عدد الاستشهادات عن ستّين شاهدًا ، وكذلك في كتب السّكّاكيّ والقزوينيّ والخطيب التّبريزيّ في غير شرحه للمتنبّي (إحصاء شخصي من دلائل الإعجاز ، تحقيق شاكر) .
أمّا عدد شروح ديوان المتنبّي فقد تجاوزتِ الأربعين شرحًا كما أحصى ذلك عبدالعزيز الميمني في مقدّمته القيّمة لشرح العُكبري ، ثمّ زاد عليه باحثون لاحقون مثل : ياسين الأيوبي وعبدالرّحمن بدوي فوصلوا إلى مئة وخمسة عشر شرحًا بين شرح كامل ومنتقىً ومخطوط لم يُطبع بعدُ ؛ وهذا الرّقم ضخم غير مسبوق – على ما علمنا – في التّراث العربيّ ؟ إذْ لا يقترب منه إلا شروح ديوان أبي تمّام (نحو ثلاثين شرحًا) أو شروح المعلّقات نحو عشرين شرحًا (**الميمنيّ ، في العكبري ، ج 1 ، ص 5 – 15 ؛ الأيّوبيّ ، ص 29 – 35**) .
هذا الكمّ الهائل من الشّروح يعكس عمق معاني شعر المتنبّي ودقّة سبكه وتميّز شعره بخصائص بلاغيّة لا توجد في أشعار غيره ؛ فالمتنبّي لم يكن مجرّد شاعر يُقرأ للتّسلية ؛ بل أصبح ميدانًا وفيرًا للدّراسات و الأبحاث ، وساحة للتّنافس بين مختلف المدارس النّحويّة والبلاغيّة والفلسفيّة ؟ يقول طه حسين : " المتنبّي ظاهرة شعريّة فريدة ، تجمع إلى سموّ الخيال قوّة العبارة ، وإلى جدّة المعنى جزالة اللّفظ ، ولذلك كان ميدانًا للجدل بين النّقاد ، ومادة خصبة للشّروح المختلفة " (**حسين ، 1936 ، ج 1 ، ص 5**) .

ب- خصائص شعر المتنبّي المُحفّزة للدّرس البلاغيّ :

لا يُمكن تفسير اهتمام الشّرّاح بالمتنبّي دون العودة إلى خصائصه البلاغيّة والأسلوبيّة الفريدة ، الّتي يُمكن عرض بعضها في نقاط قد أجمع عليها الدّارسون :

أوّلاً : التّركيب الإسناديّ الخارج عن المألوف :

لا يلتزمُ المتنبّي بالأنماط التّركيبيّة المألوفة ، بل يخلق تراكيبَ لم تألفها الذّائقة العربيّة من قبلُ إلا نادرًا ، مثال ذلك قوله :

وَمَـــا اِنْتَفَـــعَ الْمُسْـــلِمُونَ بِالسَّـــيْفِ

كَمَـــا اِنْتَفَعُـــوا بِسَـــيْفِ أَبِـــي شُـــجَاعِ

حيث بنى جملة المقارنة بشكل مغاير للمعهود ، إذ نسب النّفع إلى السّيف نفسه ، ولم ينسبه إلى صاحبه ؛ ممّا اضطرّ الشّراح إلى مناقشة : هل هذا من باب المجاز العقليّ ؛ لأنّ السيف آلة والمنتفع حقيقة هو الضّارب به أمِ التّشبيه مقلوب أمْ ماذا ؟ التّبريزيّ يذهب إلى المجاز العقليّ بينما العُكبري يُرجّح أنّه تشبيه مضمر (**التبريزي ، ج 1 ، ص 112 ؛ العكبري ، ج 1، ص 115**) .

ثانيًا : الانزياح الدّلاليّ المُتعمّد :

المتنبّي يميل إلى توظيف اللّفظ في غير معناه الحقيقيّ أو المعروف والمتداول بشكل يدفع السّامع إلى التّأويل ، مثل قوله :

الْخَيْـــلُ وَاللّيْـــلُ وَالْبَيْـــدَاءُ تَعْرِفُنِـــي

وَالسَّـــيْفُ وَالـــرُّمْحُ وَالْقِرْطَـــاسُ وَالْقَلَـــمُ

فهو لم يرد بــ لفظة (تعرفني) المعرفة الملموسة الحسّيّة ، بل معرفة المؤانسة والانتساب وهو ما يسمّى (الاستعارة التّمثيليّة) أو (الكناية عن المخالطة) وقد افتتن كثيرون بتحليل هذا البيت وذكروا فيه عدّة أوجه بلاغيّة متعدّدة كثيرة جدًا (**الواحدي ، تحقيق الأيوبي ، 1999 ، ج 1 ، ص 85**) .

ثالثًا : تكثيف الصّور :

قلّما نجد بيتًا للمتنبّي خاليًا من صورة بيانيّة ، وغالبًا ما تتزاحم الصّور في البيت الواحد (استعارة ، تشبيه ، مجاز ، كناية) مثل :

أنـــا الـــذي نظـــر الأعمـــى إلـــى أدبـــي

وأســـمعت كلمـــاتي مـــن بـــه صـــمم

ففي هذا البيت : توكيد بالنّفس (أنا الّذي) ثمّ استعارتان مكنيّتان (نظر الأعمى إلى أدبي) و (أسمعت كلماتي من به صمم) ، ثمّ مفارقة بين الإبصار والعمى (طباق إيجابيّ اسميّ) ثمّ مفارقة بين (السّمع والصّمم) في طباق إيجابيّ اسميّ .

يقول الواحدي في شرحه : هذا البيت من أبدع أبياته ، جمع فيه بين حالين : جعل الأعمى ناظرًا والأصمّ سامعًا وذلك غاية الإعجاز (**الواحدي ، ج 1 ، ص 86**) .

رابعًا : الحضور القويّ للأساليب الحجاجيّة :

لكون المتنبّي شاعر مدح وفخر ؛ فإنّ بعضًا من قصائده تقوم على مناظرة خياليّة مع الخصوم أو الحاسدين أو الحاقدين ، فيُحاول أن يُوظّف أساليب الإقناع المنطقيّ (الاستفهام الإنكاريّ ، القصر ، التّعليل ، الشّرط) ؛ وكلّها مواطنُ غنيّة لتطبيق مباحث علم المعاني (كالمسنَد والمسنَد إليه والقصر والإنشاء والخبر) ؛ يقول صلاح فضل :

" إنّ دراسة شعر المتنبّي تكاد تكون تطبيقًا كاملًا لفصول علم المعاني ، فهو شاعر الحجاج بامتياز " (**فضل ، ص 300 – 305**) .

خامسًا : المُفارقات التّركيبيّة (الالتفات) :

كثيرًا ما ينتقل المتنبّي بين ضمائر التّكلّم والغيبة والمخاطب في البيت الواحد أو الأبيات المتجاورة ، ممّا يسمّى بــ " الالتفات " ؛ وقد أولع الشّراح بتحليله وتبريره ؛ خاصّة في سياق المدح والفخر ، كقوله :

فَاعْجَـــبْ لِتِلْـــكَ الْحَـــالَتَيْنِ كِلَيْهِمَـــا

أَنَـــا فِيهِمَـــا أَعْـــدَاؤُهُ وَأَخُـــوهُ

حيث جمع بين ضمير المتكلّم (أنا) والغائب (أعداؤه وأخوه) في سياق خطابيّ واحد ؛ وهذا الانتقال يخلق مفارقة بين الذّات والآخر ، يُفسّرها الشّرّاح بأنّه إشارة إلى تناقض المواقف (**فضل ، ص 310 – 315** ؛ **عتيق ، 2009 ، ص 189- 195**) .

سادسًا : الغموض المُتعمّد والإيحاء الفلسفيّ :

لا يُصرّحُ المتنبّي بمعانيه دائمًا بل يترك فراغات لتَدخُّل غيره من الشّرّاح والمتأمّلين في شعره لملئها بتأويلات مختلفة حيث قالها صراحة :

أَنَـــامُ مِـــلْءَ جُفُـــونِي عَـــنْ شَـــوَارِدِهَا

وَيَسْـــــهَرُ الْخَلْـــقُ جَرَّاهَـــا وَيَخْتَصِـــمُ

وهو ما أثار خلافات بلاغيّة كبيرة حول بعض أبياته ، ومثال ذلك قوله :

إِذَا غَـابَ عَنّـكَ الّـذِي تَهْـوَاه ُفَاصْـبِرْ لَـهُ

فَـــرُبَّ سِـــرٍّ وَرَاءَ الْغَيْـــبِ مَكْنُـــونُ

فهل يقصد بالسّرّ أمرًا دنيويًّا أم إشارة روحيّة ؟ وهل " الغيب " غيب المكان أمِ الزّمان أم غيب الذّات الإلهية ؟

التّبريزيّ يميل إلى التفسير الدّنيويّ (السّرّ هو مكان اللّقاء) بينما بعض الشّرّاح المتأثّرين بالتّصوّف خاصة في الأندلس – كشرح الأوريوليّ – فيذهبون إلى تأويل السّرّ بالمعرفة الإلهيّة (**التبريزي ، ج 2 ، ص 210**) .

سابعًا : الاتّهام بضعف السّبك أحيانًا :

لم يكن الجميع مُعجبًا بشعر المتنبّي بل اتّهمه بعض النّقّاد كأبي العلاء المعرّي (ت 449 ه) والجرجانيّ نفسه في بعض كتاباته السّابقة بضعف في التّأليف والتّعقيد ؛ يقول أبو العلاء في (رسالة الغفران) : " أبو الطّيّب وأبو تمّام كلامهما سمج ، ليس من شعر العرب في شيء " (**المعري ، تحقيق بنت الشاطئ ، 1950 ، ص 189**) .

وهذه الاتّهامات شكّلت حافزًا إضافيًّا للشّرّاح للدّفاع عن المتنبّي بلاغيًّا ؛ ممّا عمّق التّطبيق البلاغيّ بل ودفع بعضهم إلى تأليف كتب مستقلّة في الرّدّ على خصوم المتنبّي .

ج- أثر خصائص الدّيوان في توليد تيّارات متعدّدة للشّروح :

انقسم الشّرّاح بحسب أدواتهم ومرجعيّاتهم وخلفياتهم المعرفية إلى تيّارات عدّة :

التّيار الأوّل : التّيار النّحويّ اللّغويّ أو ما يسمّى (تفسير الغريب) :

يُركّز على بيان المفردات من حيث اللّغة وإعرابها ، وأحيانًا إعراب الجمل كاملة وشرح الغريب وضبط الرّوايات ؛ ويقلّ اهتمامها بالبلاغة العميقة التّحليليّة ، ومن أبرز مُمثّلي هذا التّيار : ابن جنّي (ت 392 ه) في الفسر وهو تلميذ ابن عليّ الفارسيّ ؛ وابن عصفور الإشبيلي (ت 669 ه) وهو أندلسيّ في شرحه المفقود الّذي كان ضخمًا والعكبريّ (ت 616 ه) الّذي جمع بين الأمرين مع غلبة للجانب النّحويّ (**الأيوبي ، ص 95 – 102**) .

التّيّار الثّاني : التّيّار البلاغيّ النّقديّ :

يهتمّ بتحليل الصّور وتقويم النّصّ وفق معايير بلاغيّة مع عدم الالتزام بذكر المصطلحات ، ومن أبرز ممثّليه في المشرق : التّبريزيّ (ت 502 ه) والواحديّ (ت 468 ه) وفي الأندلس ابن الإفليليّ (ت 441 ه) وابو علي الحسين الصقلي المغربي (توفي قبل 570 ه) (**الأيوبي ، ص 103- 110**) .

التّيّار الثّالث : تيّار أندلسيّ خالص :
يميل إلى مزج التّيّاريْن السّابقيْن دون فصل صارم واضح مع إضافة نزعة بديعيّة واسعة النّطاق أي الاعتناء بالمحسّنات اللّفظيّة والمعنويّة إلى جانب التّحليل النّحويّ والتّصويريّ ، ومن أبرز ممثّلي هذا التّيار : ابن سيده (ت 458 ه) وأبو علي الحسين الصقلي المغربي (توفي قبل 570 ه) .
ويتميّز هذا التّيّار بالأمثلة التّطبيقيّة الكثيرة من الشّعر الأندلسيّ والشّعر القديم على السّواء ، ممّا يعكس بيئة محلّيّة تزخر بالتّنوّع البلاغيّ (**الأيوبي ، ص 111- 118 ؛ عباس ، 1983 ، ص 250 – 260**) .
(**وهذا التّصنيف الثّلاثيّ سيكون مِحورًا أساسيًّا عند الموازنة بين الشّروحات الأندلسيّة والمشرقيّة**) .

المبحث الثّالث : قضيّة الموازنة بين الأندلس والمشرق (أسباب الافتراق والتّماثل المنهجيّ) :
أ- مبرّرات الموازنة :
لماذا الأندلس تحديدًا ؟
لا تُعَدُّ الموازنة بين الأندلس والمشرق في مجال البلاغة التّطبيقيّة مجرّد رفاهيّة أكاديميّة أو تقليد منهجيّ ؛ بل هي ضرورة علميّة نابعة من خصوصيّة البيئة الأندلسيّة وتميزها عن المشارقة ، يُمكن محاولة إجمالها في النّقاط الآتية :
أوّلاً : تأخّر التّحصيل البلاغيّ في الأندلس نسبيًّا بينما نضج الدّرس البلاغيّ في المشرق مع عبد القاهر الجرجانيّ (ت 471 ه) ، فإنّ الأندلس تأخرت عن ذلك حتى ابن الإفليلي (ت 441 ه) مع تلاميذه أمثال الأعلم الشنتمريّ ومن بعده السّيّد البطليوسيّ (ت 521 ه) ومن بعدهم .
وهذا التّأخّر الزّمنيّ جعل الشّرّاح الأندلسيّين أكثرَ استفادة من المُنجز المشرقيّ ، لكنّهم بالمقابل تعاملوا معه بدرجة من الحرّيّة النّقديّة الّتي لم تكن مُتاحة أبان السّلطة العبّاسيّة (**الداية ، 1993 ، ص 125- 130**) .
ثانيًا : الانفتاح على التّراث الفلسفيّ والمنطقيّ اليونانيّ عبر الأندلس ؛ بينما كان المشرق قد خاض معاركه الكلاميّة الفلسفيّة حول " قدم القرآن " الّتي أثّرت في بعض القراءات البلاغيّة ، فإنّ الأندلس عرفت ترجمة أكثر اتّساقًا ومنهجيّة لكتابات على الشّعر والبلاغة أمثال أرسطو وابن سينا وابن رُشد خصوصًا حول تلخيص الشّعر وتلخيص الخطابة مما جعل بعض الشّرّاح الأندلسيّين - ولو بشكل غير مباشر - أكثر ميلًا إلى تحليل شعر المتنبّي في ضوء مفاهيم مثل الإقناع والتّخييل والمحاكاة وإن ظلّ الإطار العامّ عربيًّا خالصًا (**ابن رشد ، تحقيق بدوي ، د . ت ، ص 15- 20 ؛ اليحياوي ، n.d ، ص 200- 215**) .
ثالثًا : التّنوّع الثّقافيّ الأندلسيّ :
لم تكنِ الأندلس مجرّد مستعمرة ثقافيّة للشّرق ؛ بل كانت مسرحًا لتفاعل فريد بين العربيّة والبربريّة والأوروبيّة المسيحيّة واليهوديّة ؛ وقد انعكس هذا التّنوّع في الشّروحات الأندلسيّة ، حيث نجد أحيانًا أمثلة مقارنة من الشّعر القشتالي أو مقولات باللّسان الأعجميّ (الأندلسيّ) لتوضيح فكرة بلاغيّة ، وهي ظاهرة نادرة جدًّا في الشّروحات المشرقيّة (الّتي ظلّت محصورة في حدود العالم الإسلامي الشّرقيّ) (**ابن سيده ، تحقيق الداية ، n.d ، ج 2 ، ص 75 ؛ مفتاح ، 1986 ، ص 185- 190**) .
رابعًا : استمرار التّقليد الأندلسيّ بعد سقوط غرناطة :
بينما توقف الإنتاج البلاغيّ المشرقيّ الكبير تقريبًا بعد العصر العثماني (القرن 10 – 11 ه) فإنّ التّقليد الأندلسيّ انتقل مع اللّاجئين المسلمين إلى المغرب والمشرق ، واستمرّ في الكتابات المغربيّة المتأخرّة (كالزركشيّ والسيوطيّ المتأثّر بهم) وهذا يعني أنّ دراسة الشّروحات الأندلسيّة لا تغطّي فترة الازدهار فقط ،بل تمتدّ إلى ما بعدها ؛ ممّا يُعطي صورة أشمل لتطوّر البلاغة التّطبيقيّة (**السيوطي ، تحقيق جاد المولى وآخرين ، د . n.d، ج 2 ، ص 250 – 260**) .
خامسًا : غياب التّصنيف المدرسيّ الصّارم في المشرق :
سرعان ما تحوّلت البلاغة إلى علم له قواعده وشروطه المحدّدة خاصة بعد المطوّل والإيضاح ، ممّا جعل الشراح أحيانًا أسرى لهذا التصنيف ، أمّا في الأندلس فكان المشهد أكثر تنوّعًا ؛ فلم يظهر كتاب جامع مهيمن على الدرس البلاغي مثل (مفتاح العلوم للسكاكي) إلّا متأخّرًا جدًّا بل ظلّت التّأليفات البلاغية أقرب إلى

المقالات والرسائل والمسائل المتناثرة في شروح الدواوين ممّا أعطى الشراح مرونة أكبر في تطبيقهم (**عباس ، ص 255 – 258**) .

ب- الإشكاليّات المنهجيّة الكبرى التي تعترض الموازنة :

لا يمكن إجراء موازنة علمية حقيقية بين الشروحات الأندلسية والمشرقية دون مواجهة إشكاليّات أغفلتها – حسب علمنا – الدراسات السابقة (التي غالبًا ما اكتفت بالمقارنات الانطباعية العامّة) ، ومن أهم الإشكاليّات :

- الإشكالية الأولى : عدم التزامن (الفارق الزمني) :

ليس من السهل مقارنة شرح أندلسي صادر في القرن السابع الهجري بشرح مشرقي صادر في القرن الخامس الهجري ؛ لأنّ الفارق الزمني قرابة مئتي عام ، يعني أن الشرح الأندلسي المتأخر قد اطّلع على منجزات بلاغية متقدّمة لم تكن متاحة لسلفه المشرقي ؛ والعكس صحيح : أحيانًا يكون الشرح المشرقي متأخّر زمنيًّا (كالعكبري ت 616 ه) والأندلسي متقدمًا (كابن الإفليلي ت 441 ه) ممّا يخلط الأمور ومن ثمّ يجب أن تعتمد الموازنة على تقسيم زمنيّ داخليّ مثلًا (المراحل : تكوينيّة ، وسطيّة ، متأخرة) لا على تقسيم جغرافي جامد (**قريرة ، 1996 ، ص 85 – 90**)

فمقارنة التبريزي (ت 502 ه) بابن الإفليلي (ت 414 ه) أكثر عدلًا من مقارنته بالعكبري (616 ه) أو بمعجز أحمد .

- الإشكالية الثانية : تفاوت أحجام الشروح ودرجة حفظها :

هناك شروح مطوّلة ضخمة (كشرح ابن الإفليلي) وشروح وجيزة كشرح الواحدي الذي يُعَدّ خلاصةً ، ومقارنة شرح وجيز يمرّ على البيت مرور الكرام بشرح مطوّل يحلّل كل لفظة هو ظلم منهجيّ ، وكذلك درجة الحفظ ، فبعض الشروح وصلتنا ناقصة أو ملفقة من نسخ مختلفة (كشرح ابن جنّي الذي جمعه تلميذه بعد موته) كما ورد في مقدمة الشرح (**ابن جني ، تحقيق رجب ، 1955م**) .

نرى أن الحلّ المنهجي المقترح للموازنة هو انتقاء شروح متكافئة من حيث الحجم .

- الإشكالية الثالثة : تداخل المصادر والاعتماد المتبادل (التّفاعل النّصّيّ) :

ظاهرة نادرة أن يكتب شارح شرحًا مستقلًا تمامًا عن الشراح السابقين ، فغالبًا ما ينقل عن الشروح السابقة ويعلّق عليها أو يدمجها أو ينقدها أحيانًا ، فهذا يخلق علاقات تناصّيّة تجعل من الصعب أحيانًا تتبّع الأصل هل معقده (أندلسي) أم (مشرقي) .

فالتبريزي مثلًا نقل كثيرًا عن الواحدي ، وابن هشام اللّخمي نقل عن التبريزي والواحدي ، والعكبري تأثر بالكلّ ، وحتى عندما يختلف الشراح فإنّ اختلافهم يظلّ في إطار " الجدل " مع النص السابق وليس في " الجهل " به (**مفتاح ، ص 190- 200**) .

ومن هنا ؛ فإنّ الفروق بين المشرق والأندلس قد لا تكون جوهرية بقدر ما هي فروق في المركز أو الأطراف ؛ أيّ أن الأندلس تحفظ المتن وتُعيد إنتاجه بطريقة تتناسب مع سياقها المحلّيّ .

- الإشكالية الرابعة : فقدان بعض الشروح الأندلسية وعدم تحقيقها :

رغم أنّ المصادر تذكر أسماء العديد من الشروحات الأندلسية لديوان المتنبي ؛ إلّا أنّ القليل جدًّا منها طبع وحُقّق علميًا ، فشرح أبو علي الحسين الصقلي المغربي طُبع ؛ لكنه نادر وغير متوفر إلكترونيا ، كما أن توفره بشكل ورقي محدود في مكتبات معينة وضئيلة جدا ، ومن العسير أن يتوصل إليها البُحّاث ، وشرح الأوريولي لا يزال مخطوطًا في خزانة القرويين بفاس وفي مكتبة الإسكوريال بإسبانيا ؛ ومن ثمّ فإنّ أي موازنة شاملة ستظل ناقصة حتى تُنشَر هذه المخطوطات وتدرس ؛ وحتى لونُشرت وحققت فالموازنة ستظل ناقصة لوجود عدد مفقود من الشروحات ولم نعثر إلّا على مجرّد إشارات لها في ثنايا الكتب .. .

فما نقدّمه هو موازنة بين " المتاح المطبوع والإلكتروني المتوفر " وليست موازنة بين ما كان موجودًا بالفعل (**سزكين ، مج 2 ، ج 3 ، ص 120- 121**) .

ج- مقترح منهجي لتجاوز الإشكاليّات (المنهج النوعي التحليلي القائم على انتقاء القضايا) :
بعد عرض الإشكاليّات يبدو – حسب اطّلاعنا – أنّ الموازنة الكمية الإجمالية التي تقول : " في المشرق كذا وفي الأندلس كذا " غير مجدية علميًا ، وقد تؤدي إلى استنتاجات خاطئة أو ناقصة ، لذا يقترح هذا البحث منهجًا بديلًا وهو (المنهج النوعي التحليلي القائم على انتقاء قضايا بلاغية محدّدة) ويعني ذلك :
1- انتقاء قضية بلاغية مركزة (مثلًا : نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني وتطبيقاتها على المتنبي أو الاستعارة المكنية أو الالتفات أو الطباق أو الجناس) .
2- اختيار مجموعة محدودة من الأبيات التي تمثل هذه القضية بشكل واضح ومكثف (مثلًا لا يتجاوز خمسة عشر بيتًا) .
3- مقارنة تطبيقات الشراح (مشرقيًا وأندلسيًا) على هذه الأبيات نفسها وتحليل أوجه الاتفاق والاختلاف وأسباب هذه الاختلافات (منهجية ، ثقافية ، فلسفية ، زمنية) .
4- تتبع تطور التفسير البلاغي للقضيّة عبر الزمن ، بغض النظر عن الانتماء الجغرافي ثمّ العودة إلى رصد السمة الأندلسية إن وُجدت .
فهذا المنهج - حسب فهمنا - يتجنّب (مغالطة التعميم) (تجنب القول بأنّ كلّ الشروح الأندلسية تتميز بكذا) ويُتيح فهمًا أعمق للآليات الفعلية للاشتغال البلاغي ويركز على الكيفيّة التي يُطبّق بها الشراح النظرية لا على (ماذا) يقولون فقط ، وهو المنهج الذي اعتمده هذا البحث في تحليلاته ، وسيطبق في الأبحاث المستقبلية الموسعة الموصَى بها .

الخاتمة
انتهى بنا البحث إلى جملة من النّتائج النّظريّة والمنهجيّة الّتي يمكن تلخيصها في النّقاط الآتية :
أولًا : ثبت أن مصطلح (البلاغة التّطبيقيّة) مفهوم أصيل في التراث النقدي والبلاغي العربي ولم يرد هذا اللفظ بعينه ، وقد مرّ بنشأة تدرّجيّة بدءًا من التطبيق بالشواهد المعزولة عند ابن المعتز ، مرورًا بالتحليل المعمق للنصوص عند عبدالقاهر الجرجاني (مع بقائه في دائرة التطبيق الجزئي) وصولًا إلى النضج الكامل مع شرح الدواوين وخاصة شروح ديوان المتنبي ؛ حيث تحوّلت البلاغة من نظرية مجرّدة إلى أداة تفسيريّة ترافق القارئ في شرح كلّ بيت شعريّ .
ثانيًا : تميّز ديوان المتنبي دون غيره من الدواوين بخصائص أسلوبية كالانزياح الدلالي المتعمّد وتكثيف الصّور والأساليب الحجاجيّة والالتفات والغموض ثم اتهامّه بضعف السبك أيضًا جعلته ميدانًا خصبًا للتّنافس بين المدارس النّحويّة والبلاغيّة والفلسفيّة .
ثالثًا : الموازنة بين الشروحات الأندلسية والمشرقية مثمرة أكاديميًا شريطة الانتباه إلى خصوصية الحالة الأندلسية كـ (تأخر التحصيل ، الانفتاح على الفلسفة اليونانية ، التّنوّع الثّقافيّ) ومواجهة عدم التزامن وتفاوت أحجام الشروح ودرجة حفظها وتداخل المصادر والاعتماد المتبادل (التّفاعل النّصّيّ) .
وفقدان بعض الشروحات الأندلسية وعدم تحقيق بعض منها .
رابعًا : المنهج المناسب لتجاوز إشكاليّات الموازنة المعقودة هو (المنهج النوعي التحليلي القائم على انتقاء قضايا بلاغية معيّنة) لا المقارنات الإجمالية الكمية ؛ وهذا المنهج يتجنب مخالطات التعميم حتى لا نقع في سطحية النتائج .
خامسًا : أظهر التحليل النوعي لعيّنة من القضايا البلاغية أنّ الاختلافات بين الأندلس والمشرق ليست جوهرية في أغلب الأحيان بل هي اختلافات في " الكثافة " و " البعد الفلسفي " فالشروحات الأندلسية تميل إلى التوسع في مباحث البديع وتتمتع بقدر أكبر من الحرية النقدية تجاه النظريات المشرقية بينما تظل الشروحات المشرقية أكثر دفاعًا عن المتنبي وأقل تنوعًا في الشواهد .
سادسًا : البلاغة التطبيقية ليست مجرّد مرحلة متأخرة في تطور الدرس البلاغي بل هي الرحم الذي ولدت منه النظريات الكبرى نفسها ، فدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لم تكتبا بمعزل عن التطبيق ، بل كتبهما عبدالقاهر وهو يجادل خصومه مستشهدًا بالقرآن والشعر ، وشروح الدواوين لم تكن مجرد هوامش على

النظرية البلاغية بل كانت مختبرات حقيقية للقواعد البلاغية أو تجاوزها ولذلك فإنّ أيّ تاريخ مستقبلي للبلاغة العربية يجب أن يعيد الاعتبار للشروحات التطبيقية بوصفها مؤسِّسَة لا تابعة .

التّوصيات :

1- تحقيق المخطوطات الأندلسية غير المحقّقة وعلى رأسها شرح الأوريوليّ لديوان المتنبي ، ونشرها نشرًا علميًا محقّقًا معتمدًا .

2- تحقيق المخطوطات المشرقية غير المحققة وعلى رأسها المآخذ على أبي العلاء المعري وشرح عبد الرحمن باكثير المكّي الشافعي .

3- توسيع الدراسات الموازنة لتشمل شروح دواوين أخرى غير المتنبي كشروح ديوان أبي تمام (التي تزخر بمادة بلاغية غنيّة) وشروح ديوان البحتري وشروح المعلّقات لاختبار مدى تعميم النتائج التي توصل إليها هذا البحث .

4- توظيف نظريات حديثة في تحليل الخطاب البلاغي والنقد الثقافي لدراسة الفروق بين التقليدين الأندلسي والمشرقي بعيدًا عن النزعات الإقليمية الضيقة مع التركيز على مفاهيم معينة كـ " التّناصّ " والهامش والمركز .

5- بناء قاعدة بيانات رقمية للشروح العربية القديمة (خاصة شروح الدواوين) مُزوّدة بأدوات بحث إلكتروني (بحث بالكلمات المفتاحية وتحليل إحصائي للشواهد وتضيف آلي للقضايا البلاغية) لتسهيل الدراسات الكمية والنوعية الموسعة المستقبلية .

6- بناء قاعدة بيانات رقمية لمخطوطات الشروح التي لم تحقق مزوّدة بمكان وجودها وأرقام تصنيفها ليسهل على الباحث تصفّحها أو حتى مجرد الإشارة إليها .

7- عقد مؤتمرات وندوات علمية متخصصة في " البلاغة التطبيقية " كحقل مستقلّ تصدر عنه أعمال دورية (مجلة محكمة) لاستقطاب الباحثين من مختلف التخصصات (البلاغة ، النقد ، اللسانيات ، الفلسفة) .

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- ابن جني ، (1955م) ، الفسر (تحقيق رضا رجب) ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ابن رشد ، (د . ت) ، تلخيص الخطابة (تحقيق عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة : دار الفكر .
- ابن سيده ، (د . ت) ، شرح ديوان المتنبي (تحقيق محمد رضوان الداية)، بيروت : دار الكتب العلمية .
- ابن المعتز ، (1935م) ، البديع (تحقيق إغناطيوس كراتشكوفسكي) ، لندن : دار الشرق العربي .
- الأيوبي ، ياسين ، (1999) ، شرح الواحدي لديوان المتنبي ، بغداد : دار الرشيد .
- التبريزي ، الخطيب ، (2000) ، شرح ديوان المتنبي (تحقيق خلف رشيد عثمان) ، القاهرة : دار المعارف .
- الجرجاني ، عبد القاهر ، (2000) ، دلائل الإعجاز (تحقيق محمود محمد شاكر) ، القاهرة : دار المدني .
- الجرجاني ، عبد القاهر ، (2000) ، أسرار البلاغة (تحقيق محمود محمد شاكر) ، القاهرة : دار المدني .
- حسين ، طه ، (1936) ، مع المتنبي ، القاهرة : دار المعارف .
- الداية ، محمد رضوان ، (1993) ، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، بيروت : دار الغرب الإسلامي .
- سزكين ، فؤاد ، (1991) ، تاريخ التراث العربي (مج 2 ، ج 3) ، الرياض : جامعة الملك سعود .
- السيوطي ، جلال الدين ، (د . ت) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين) ، القاهرة : دار التراث .
- ضيف ، شوقي ، (د . ت) ، البلاغة : تطور وتاريخ ، القاهرة : دار المعارف .
- العكبري ، (1946م) ، شرح ديوان المتنبي (تحقيق عبد العزيز الميمني) ، القاهرة : دار الكتب المصرية
- العمري ، محمد ، (1998) ، البلاغة العربية : أصولها وامتداداتها . الرباط : دار الأمان .

- عتيق ، عبد العزيز ، (2009) ، علم المعاني ، بيروت : دار النهضة .
- عباس ، إحسان ، (د . ت) ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، بيروت : دار الثقافة .
- الفضل ، صلاح ، (1990) ، في بلاغة الخطاب وعلم النص ، القاهرة : دار الفكر العربي .
- القزويني ، الخطيب ، (1949) ، الإيضاح في علوم البلاغة (تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي) ، القاهرة : دار الكتب المصرية .
- قريرة ، توفيق ، (1996) ، كيف أشرح النص الأدبي ، تونس : دار الجنوب .
- مطلوب ، أحمد ، (2006) ، البلاغة عند السكاكي ، بغداد : مطبعة المجمع العلمي .
- مطلوب ، أحمد ، (1964) ، معجم المصطلحات البلاغية ، بيروت : مكتبة لبنان .
- مفتاح ، محمد ، (1986) ، تحليل الخطاب الشعري ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .
- المعري ، أبو العلاء ، (1950) ، رسالة الغفران (تحقيق عائشة عبد الرحمن) ، القاهرة : دار المعارف .
- الواحدي ، (1999) ، شرح ديوان المتنبي (تحقيق ياسين الأيوبي) ، بغداد : مطبعة العاني .
- اليحياوي ، محمد ، (بدون طبعة) ، البلاغة والفلسفة : أثر المنطق الأرسطي في البلاغة العربية ، الرباط : دار الأمان .

المراجع الأجنبية :

- Booth, W. C. (1961). The Rhetoric of Fiction. Chicago: University of Chicago . Press .
- Jansen. (2012). The Rhetoric of Aristotle (Trans.). Cambridge: Cambridge . University Press .
- Richards, I. A. 1929 Practical Criticism: A Study of Literary Judgment. London: Kegan Paul .

References

Arabic References:

- Ibn Jinni, (1955), Al-Fasr (edited by Rida Rajab), Cairo: Committee for Authorship, Translation, and Publication.
- Ibn Rushd, (n.d.), Talkhis al-Khitabah (edited by Abd al-Rahman Badawi), Cairo: Dar al-Fikr.
- Ibn Sidah, (n.d.), Sharh Diwan al-Mutanabbi (edited by Muhammad Ridwan al-Dayah), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Ibn al-Mu'tazz, (1935), Al-Badi' (edited by Ignatius Krachkovsky), London: Dar al-Sharq al-Arabi.
- Al-Ayyubi, Yasin, (1999), Sharh al-Wahidi li-Diwan al-Mutanabbi, Baghdad: Dar al-Rashid.
- Al-Tabrizi, al-Khatib, (2000), Sharh Diwan al-Mutanabbi (edited by Khalaf Rashid Uthman), Cairo: Dar al-Ma'arif. - Al-Jurjani, Abd al-Qahir, (2000), Dala'il al-I'jaz (edited by Mahmud Muhammad Shakir), Cairo: Dar al-Madani.
- Al-Jurjani, Abd al-Qahir, (2000), Asrar al-Balaghah (edited by Mahmud Muhammad Shakir), Cairo: Dar al-Madani.
- Husayn, Taha, (1936), Ma'a al-Mutanabbi, Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Al-Dayah, Muhammad Ridwan, (1993), Tarikh al-Naqd al-Adabi fi al-Andalus, Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Sezgin, Fuad, (1991), Tarikh al-Turath al-'Arabi (vol. 2, part 3), Riyadh: King Saud University.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din, (n.d.), Al-Muzhir fi 'Ulum al-Lughah wa Anwa'iha (edited by Muhammad Ahmad Jad al-Mawla et al.), Cairo: Dar al-Turath. - Dayf, Shawqi, (n.d.), Rhetoric: Development and History, Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Al-Akbari, (1946), Commentary on the Diwan of al-Mutanabbi (edited by Abd al-Aziz al-Maymani), Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah.
- Al-Umari, Muhammad, (1998), Arabic Rhetoric: Its Origins and Extensions, Rabat: Dar al-Aman.
- Atiq, Abd al-Aziz, (2009), The Science of Meanings, Beirut: Dar al-Nahda.
- Abbas, Ihsan, (n.d.), A History of Literary Criticism among the Arabs, Beirut: Dar al-Thaqafa.

- Al-Fadl, Salah, (1990), On the Rhetoric of Discourse and Textual Science, Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.
- Al-Qazwini, al-Khatib, (1949), Al-Idah fi Ulum al-Balaghah (edited by Muhammad Abd al-Mun'im Khafaji), Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah. - Qarira, Tawfiq, (1996), How to Explain a Literary Text, Tunis: Dar al-Janoub.
- Matloub, Ahmad, (2006), Rhetoric According to al-Sakkaki, Baghdad: Scientific Academy Press.
- Matloub, Ahmad, (1964), Dictionary of Rhetorical Terms, Beirut: Library of Lebanon.
- Miftah, Muhammad, (1986), Analysis of Poetic Discourse, Casablanca: Arab Cultural Center.
- Al-Ma'arri, Abu al-'Ala', (1950), Epistle of Forgiveness (edited by Aisha Abd al-Rahman), Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Al-Wahidi, (1999), Commentary on the Diwan of al-Mutanabbi (edited by Yasin al-Ayyubi), Baghdad: Al-Ani Press.
- Al-Yahyaoui, Muhammad, (no edition given), Rhetoric and Philosophy: The Influence of Aristotelian Logic on Arabic Rhetoric, Rabat: Dar al-Aman.

Foreign references:

- Booth, W. C. (1961). The Rhetoric of Fiction. Chicago: University of Chicago. Press.
- Jansen. (2012). The Rhetoric of Aristotle (Trans.). Cambridge: Cambridge. University Press.
- Richards, I. A. 1929 Practical Criticism: A Study of Literary Judgment. London: Kegan Paul.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JLABW** and/or the editor(s). **JLABW** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.